

جودة الحياة الأسرية والتنشئة الاجتماعية

Quality of family life and social education

محمد خشمون، جامعة باتنة 1

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على موضوع ثقافة الحوار كآلية لتحقيق الجودة في الحياة الأسرية من خلال التطرق أولاً إلى بعض المفاهيم مثل ثقافة الحوار، الأسرة، جودة الحياة الأسرية، ثم التعرض ثانياً إلى الآليات المتبعة من طرف الأسرة في التربية على ثقافة الحوار من خلال تعميم قيم التسامح والاعتراف بالآخر وإدارة الخلافات بطرق سلمية بين أفراد الأسرة، ثم التطرق أخيراً إلى انعكاسات ثقافة الحوار على الجودة في الحياة الأسرية والتي تتمظهر في الاستقرار الأسري والتعايش السلمي، واحترام الرأي والرأي الآخر.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الأسرة، جودة الحياة الأسرية.

Abstract

The aim of this study is to highlight the theme of dialog culture as a mechanism for achieving quality in family life by first addressing concepts such as dialog culture, family, family quality of family life, Then, second, to the mechanisms adopted by the family in education on the culture of dialog through generalizing the values of tolerance, recognizing the other, managing differences peacefully among the family members, and finally addressing the implications of the culture of dialog on quality in family life, which is reflected in family stability and peaceful coexistence. And respect for opinion and other opinion.

Keywords: Dialog, family, Quality of family life.

مقدمة:

يتفق كل العلماء والباحثين تقريبا، على أن الأسرة هي المحافظ الأول على النوع البشري في العالم، فهي المؤسسة الأولى من بين مختلف مؤسسات المجتمع التي تتولى عملية انجاب الأفراد، وإعدادهم للدخول في الحياة الاجتماعية، وهي من ينسب إليها نوعيتهم، فإذا كانوا صالحين لأنفسهم ولمجتمعهم، كان الفضل في ذلك للأسرة بالدرجة الأولى، وإذا كانوا طالحين كذلك يرجع اللوم بالدرجة الأولى على الأسرة، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك مؤسسات أخرى في المجتمع، تتقاسم معها المسؤولية في نوعية الأفراد، كالمدرسة والمؤسسات الدينية، وغيرهما من مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

ولاشك أن نوعية الحياة التي يحصل عليها الأبناء من طرف الأبوين ودرجة جودتها، خلال مرحلة التنشئة الاجتماعية، التي تمتد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة، تعتبر من أهم العوامل المؤثرة على نوعية الأفراد الذين تقدمهم الأسرة للمجتمع، باعتبارها هي المنتج البيولوجي لهم، والمسؤول الأول عن كفالتهم حتى بلوغهم سن الرشد، كما تنص على ذلك معظم القوانين في العالم.

ولهذا تطرقنا من خلال هذه المداخلة، إلى مفهوم جودة الحياة وما يعبر عنه، وكذلك إلى مفهوم التنشئة الاجتماعية وما يشير له، ومن ثم إلى توضيح مسألة جودة الحياة التي يجب أن توفرها الأسرة لأبنائها أثناء مختلف مراحل نموهم الجسدي والعقلي والفكري والاجتماعي، وما يترتب عن ذلك بالنسبة للمجتمع وللمستقبل.

1- مفهوم جودة الحياة:

قبل أن نتطرق لجودة الحياة الأسرية، لابد وأن نتعرض أولا لمفهوم جودة الحياة، وما يحمله من معاني ودلالات، فجودة الحياة عند الكثير من الباحثين، تتمثل في ارتفاع مستوى الخدمات المادية والمعنوية والاجتماعية، التي يحصل عليها أفراد المجتمع، وكذلك في احساس هؤلاء الأفراد ودرجة وعيهم وإدراكهم لقدرة الخدمات المقدمة لهم، على إشباع حاجاتهم المختلفة، في ظل البيئة التي يعيشون فيها ويتفاعلون داخلها؛ أي بدرجة رضاهم على حجم ومستوى الخدمات التي تقدم لهم، مثل الشعور بالأمن وتوفير السكن اللائق وتحسين نوعية الخدمات الصحية والتعليمية والمواصلات والاتصالات، والشعور بالعدالة الاجتماعية وانتشار روح المحبة والتعاون بين الناس، والقيام بالممارسات الديمقراطية، فضلا عن الايجابية وارتفاع الروح المعنوية والانتماء والولاء للوطن، كما تعبر جودة الحياة عن حسن صحة الإنسان الجسدية والنفسية، ونظافة البيئة المحيطة به وراثتها، أي أن جودة الحياة ترتبط بسلامة البيئة المادية والبيئة النفسية والاجتماعية، التي يعيش فيها الفرد وبمدى الرضا عنها، حيث تعرف منظمة الصحة

العالمية جودة الحياة، بأنها: "إدراك الفرد لوضعه المعيشي في سياق أنظمة الثقافة والقيم في المجتمع الذي يعيش فيه، وعلاقة هذا الإدراك بأهدافه وتوقعاته ومستوى اهتمامه".¹

كما تعرف جودة الحياة، بأنها شعور الفرد بالرضا والسعادة وقدرته على إشباع حاجاته من خلال ثراء البيئة ورفي الخدمات التي تقدم له في المجالات الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية، مع حسن إدارته للوقت والاستفادة منه. وقد حدد "فلوفيلد" سنة 1990، أهم مؤشرات قياس جودة الحياة فيما يلي:

١- **المؤشرات الاجتماعية:** وتتمثل الايجابية منها في العلاقات الاجتماعية الجيدة والمفيدة، وكذلك في درجة اندماج الأفراد في المجتمع مشاركتهم في مختلف الأنشطة الاجتماعية والترفيهية، بينما السلبية في الشعور بالاغتراب داخل المجتمع والإحساس الدائم بالقهر.

٢- **المؤشرات النفسية:** وتتمثل الايجابية منها في الشعور بالسعادة والرضا والتفاؤل، بينما السلبية في شعور الفرد بالقلق والاكتئاب الاحباط ..

٣- **المؤشرات الجسمية والبدنية:** وتتمثل الايجابية منها في التمتع بالصحة الجيدة والأجسام القوية والقدرة على تلبية الحاجات البيولوجية بشكل جيد والحصول على الرعاية الصحية المناسبة في حالة المرض... بينما السلبية في المرض ونقص التغذية وضعف الرعاية الصحية والشعور بإهمال القائمين عليها.

٤- **المؤشرات المهنية:** وتتمثل الايجابية منها في درجة الرضا الوظيفي وحب العمل والاجتهاد فيه، بينما السلبية في العزوف عن العمل والتهرب منه والنفور من كل ما يقرب منه.¹

الاتجاهات النظرية المستخدمة في تفسير جودة الحياة:

توجد أربعة اتجاهات رئيسة في تعريف جودة الحياة، وتتمثل في:¹

أ - **الاتجاه الاجتماعي:** ينظر أصحاب هذا الاتجاه الى الجودة الحياة بنظرة مادية موضوعية، حيث يلاحظونها في مؤشرات ومعدلات الوفيات والمواليد والمرض، ونوعية السكن ومستويات الخدمات الصحية والتعليمية، وكذلك مستوى الدخل المادي لأفراد المجتمع، إلا أن البعض منهم يضيف مؤشر نوعية العلاقات الاجتماعية، كمؤشر رئيس على جودة الحياة، فكلما تحسنت نوعية العلاقات وزاد رضا الفرد عنها، ونما شعوره بالانتماء الى المجتمع، كلما دل ذلك على جودة الحياة التي يتمتع بها.

ب - **الاتجاه النفسي:** ينظر أصحاب هذا الاتجاه الى الجودة الحياة بمنظور نفسي خالص، حيث يربطونها دائما بالشعور والإحساس بالإشباع وبالرضا والتقاؤل وارتقاع الروح المعنوية... بفعل مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي تؤدي الى اشباع الحاجات الأساسية للفرد، التي تزداد وتختلف من مرحلة عمرية الى أخرى.

ج - **الاتجاه الطبي:** ينظر أصحاب هذا الاتجاه الى جودة الحياة على أنه التمتع بالصحة الجسمية والنفسية والعقلية، وتوافر القدرة والإمكانات المادية والبشرية لمحاربة الأمراض والأوبئة في حالة وجودها، أي الشعور بالأمن الصحي من خلال توافر الخدمات الصحية والعلاجية اللازمة في المجتمع، وكذلك توافر المجتمع على خطط صحية وقائية مستقبلية من خلال عمليات التوعية والإرشاد الصحي، والبرامج العلاجية لمحاربة مختلف الأخطار الصحية التي تهدد صحة أفراد المجتمع.

د- **الاتجاه الفلسفي:** ينظر أصحاب هذا الاتجاه الى الجودة الحياة، على أنها السعادة المنشودة من عملية تحرير النفس من دنس الحياة ومشاكلها، أي العيش في عالم مثالي خالي من كل سلبيات الواقع المعاش، أي محاولة النظر بإيجابية للحياة وتجاهل كل مشاكلها والشر الموجود فيها، فجودة الحياة بالنسبة للفلاسفة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال عملية تسامي وارتقاء نحو العالم المثالي المتخيل.

2- التنشئة الاجتماعية:

يعد مفهوم التنشئة الاجتماعية من بين أكثر المفاهيم الاجتماعية التي لاقته اهتماما كبيرا من طرف العلماء والباحثين، وذلك لما تحمله هذه العملية من أهمية في حياة أفراد المجتمع، والتي يتوقف عليها الى حد كبير مستقبل الفرد ونوعية تأثيره في المجتمع، وقد عرفت التنشئة الاجتماعية من عدة منظورات وزوايا نفسية واجتماعية، حيث عرفت على أنها: "عملية التي يكتسب الأفراد بواسطتها المعرفة والمهارات، والإمكانات التي تجعلهم بصورة عامة أعضاء قادرين في مجتمعهم"¹ وبالإضافة الى انها عملية معرفية فإنها سلوكية أيضا، حيث عرفت أيضا بأنها: "عملية تعليم السلوك الاجتماعي، بغية تكيف الفرد من بيئته الاجتماعية بالامتثال لمطالب المجتمع، والاندماج في ثقافته والخضوع للمعايير الاجتماعية التي تحقق الضبط الاجتماعي"¹ وهنا نجد أن صاحب هذا التعريف يصفها بأنها عملية اندماج ثقافي في المجتمع، من خلال اكتساب العادات والتقاليد والمعايير الموجودة في المجتمع، وفي هذا السياق نجد من يعرفها بأنها هي التي: "يتم من خلالها دمج الفرد في المجتمع، ودمج ثقافة المجتمع في الفرد، وهي عملية تعلم في أصولها يستطيع الفرد من خلالها أن يتكيف مع معايير وتصورات وعادات وقيم الجماعة

التي يعيش في وسطها" كما تعتبر كذلك من أولى "العمليات الاجتماعية ومن أكثرها شأنًا في حياة الفرد، لأنها الدعامة الأولى التي تركز عليها مقومات الشخصية الإنسانية"¹

ومن خلال هذه التعريفات، يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية هي عبارة عن عملية بالدرجة الأولى، هدفها الأساسي هو إعداد الأفراد المستقبليين للمجتمع، وتزويدهم بكل ما يجب أن يعرفونه على المجتمع، وعاداته وتقاليده وقيمه ومعاييره، حتى يتمكنوا من التكيف مع المجتمع بشكل جيد، يجعل منهم أفرادًا صالحين، وفي الحقيقة أن هذه العملية تبدأ من الأسرة وتمتد إلى المجتمع، بمختلف مؤسساته التربوية والتعليمية كالمدرسة والمسجد... لكن الأسرة تبقى دائما المسؤول الأول الذي يتحمل أكبر قدر من المسؤولية في عملية إعداد الأفراد، لأنها هي من تتجهم، وهي من تتحمل مسؤولية تربيتهم والانفاق عليه، حتى يبلغون السن الذي يمكنهم من الاستقلال التام عنها، فبعبارة أخرى فإن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تتولى عملية نمو الكائن البشري جسميا ونفسيا وأخلاقيا واجتماعيا وثقافيا في المجتمع، فهي التي تتولى عملية نقل الثقافة بين أجيال المجتمع.

3- التنشئة الاجتماعية ونوعية الأسرة:

لاشك أن التنشئة الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، ومن أسرة إلى أخرى داخل المجتمع نفسه، وذلك حسب نوعية الأولياء القائمين على الأسرة، ونوعية الثقافة المتشبعين بها وقوة شخصية كل واحد منهما، وقناعاته وأراءه ومستوى تعليمه، ومن هنا سنحاول ربط بين نوعية السلطة داخل الأسرة، ونمط التنشئة الاجتماعية الذي يترتب عنه، كما يلي:¹

أ - طريقة التنشئة الاجتماعية الأسرية الديمقراطية:

تكون عملية التنشئة الاجتماعية في هذه النوعية من الأسر، قائمة على الحوار البناء في حل المشكلات التي تواجهها، بالإضافة إلى الانسجام الكامل والتفاهم العقلاني بين الأبوين وأبنائهم، من خلال أسلوب موضوعي وعقلاني في التعاطي مع الأمور، حيث يمنح الأبناء هذا الأسلوب في التعامل الحرة والشجاعة في طرح آرائهم وأفكارهم ومقترحاتهم، حول قضاياهم الشخصية والأمور المرتبطة بشؤون الأسرة، من خلال ما يتيح لهم من المشاركة في المناقشة، وحتى في اتخاذ القرارات المهمة داخل الأسرة، وهذا ما ينتج أفرادًا يؤمنون بمبدأ حق الاختلاف في الرأي والأفكار مع الآخرين، وفي نفس الوقت يحترمونهم، ومن ثم فهذا الأسلوب ينتج أفرادًا متفتحين على الآخر مستعدين لقبوله ومناقشته، وأقلا ميلا للتسلط والتعصب والتطرف.

ب - طريقة التنشئة الاجتماعية الأسرية القائمة على تسلط الآباء:

تكون عملية التنشئة الاجتماعية في هذه النوعية من الأسر، قائمة على تسلط الآباء على الأبناء، ومحاولة فرض رأيهم عليهم، ولو حتى باستعمال العنف في بعض الأحيان، حيث يسود هذا الأسلوب في عملية التنشئة الاجتماعية القسوة في المعاملة والجفاء في العلاقة والاستغلال المادي والجسدي للأبناء في بعض الحالات، وينتج عن هذه الطريقة المتشددة في عملية التنشئة الاجتماعية إما أفراداً خنوعين وغير قادرين على التعبير عن رأيهم، من جراء ما اكتسبوه في صغرهم وتعرضوا إليه من اهانة وتأنيب، وإما بالمقابل أفراداً متمردين يحاولون تعويض ما عانوه من قهر وكبت للمشاعر والآراء في صغرهم، ونسبة قليلة فقط من يكونون أسوياء متشبعين بالحياة وقيم الاحترام.

. ج - طريقة التنشئة الاجتماعية الأسرية المترخية و اللامبالي:

تكون عملية التنشئة الاجتماعية في هذه النوعية من الأسر قائمة على الإهمال الشبه تام للأبناء، وما يقومون به وما يتعرضون له، أي أن الأولياء يتناسون أن لهم أبناء عليهم تربيتهم وتوجيههم إلى السلوك السليم وفي أحسن الحالات يوفرون لهم متطلباتهم المادية من أكل وشرب ولبس... وهذه الحالة تحتمل الجانبين تدليل الأبناء والتستر على كل أخطائهم، وتحقيق جميع رغباتهم ومطالبهم أما الجانب الثاني، هو عدم الاكتراث التام لأموالهم المادية أو المعنوية، وتركهم لمصيرهم المجهول، مما يُنتج أفراداً مستهترين غير قادرين على تحمل المسؤولية في الحالة الأولى أو أفراداً منحرفين أو ربما حتى مجرمين في بعض الأحيان، وقليل منهم فقط من تساعده الظروف على أن يكون فرداً صالحاً نافعا لنفسه ولمجتمعه.

3- العلاقة بين جودة الحياة الأسرية و التنشئة الاجتماعية:

كما سبق وأن أشرنا، فإن للأسرة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لأبنائها دوراً كبيراً في تحقيق جودة الحياة، التي تظهر بدورها من خلال عدة مؤشرات ومقاييس، وتوفر عدة جوانب يمكن من خلالها تقدير مدى هذه الجودة، والتي يمكن أن نختصر أهمها فيما يلي، ثم نحدد الدور الذي يخص الأسرة والجانب الذي يمكن أن توفره أو أن تمنعه:

1- دور الاسرة في تحقيق الجودة والسلامة والصحة البدنية لأفرادها:

يرتبط هذا الدور بنوعية الغذاء الصحي الذي توفره الأسرة لأفرادها، من مأكّل ومشرب، فكما يقال العقل السليم في الجسم السليم، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الغذاء الصحي لا يرتبط فقط بثمن الغذاء، بقدر ما يرتبط بالثقافة الغذائية للأبوين خاصة الأم، فهي المسؤولة عن اكساب الأبناء العادات الغذائية الصحية، خاصة تلك المرتبطة بشروط النظافة والتوازن الغذائي في الوجبات، بل وحتى الاعتماد على النفس في بعض الأحيان من تحضير بعض الأطعمة في حالة غياب الأم، وكذلك تقديم الطعام وتنظيف الطاولة والأواني،¹ كما أن جودة الحياة الأسرية في المجال الصحي خاصة في مرحلة التنشئة الاجتماعية، تمتد حتى إلى اكساب الأولاد عادة ممارسة الرياضة، فأغلب الدول المتطورة خاصة في مجال جودة الحياة التي تقدمها الأسرة لأبنائها، تعتبر الرياضة شيء مقدس في الحياة.

كما أن للأسرة دورا كبيرا في توفير الرعاية الصحية لأبنائها، خاصة من خلال الحرص على عمل التلقينات اللازمة للأبناء في الوقت المناسب، كما يجب عليها المتابعة الصحية للأبناء منذ الصغر، ليس في حالات المرض فحسب، بل كذلك في مجال الوقاية منه، وحتى فيما يتعلق بنظافة الأسنان وعلاجها وتقويمها في مرحلة الصغر، لأن هذه المرحلة بالذات هي أنسب المراحل لعلاج الأمراض في بدايتها خاصة بعض التشوهات الخلقية، كما أن مرحلة الطفولة كما يجمع معظم الأطباء وعلماء الأحياء، تعتبر أهم مرحلة في تكوين قاعدة الخلايا المكونة للبنية الجسدية، فأجسام القوية والصحية تكون مؤسسة منذ الصغر من خلال نوعية الغذاء الصحي الذي تلقته، وكذلك من خلال درجة العناية الصحية التي حصلت عليها، ومن هنا بذات يمكن الحكم على مدى جودة الحياة التي يمكن أن تقدمها الأسرة لأبنائها في مرحلة التنشئة الاجتماعية.

2- دور الاسرة في تحقيق جودة التوازن النفسي والإشباع الشعوري لأفرادها:

يقول علماء النفس: "إن الفرد لكي ينمو نموا سليما فهو بحاجة إلى الحب والعطف اللازمين لنموه النفسي والعقلي والاجتماعي".¹

لاشك أن الأسرة تعتبر المسؤول الأول عن تحقيق جودة التوازن النفسي والإشباع الشعوري لأفرادها، خاصة من حيث تقديم الحنان والعطف والاطمئنان العاطفي والحب المتبادل، فالشخصيات السوية والمتوازنة نفسيا والمتشعبة شعوريا وعاطفيا، هي الشخصيات التي يعول عليها في قيادة المجتمع، فأغلب الأفراد الذين يجرمون في المجتمع ويشذون عن أخلاقياته ويتمردون عن قيمه ومعاييرهم، كلهم أشخاص عانوا من اضطرابات نفسية في مرحلة التنشئة الاجتماعية، حيث لم يتلقوا شحنة الحنان والعطف اللازمة لإحداث توازنهم النفسي، كما أن افتقارهم للإحساس بالأمان والاطمئنان يخلق لديهم ميل نحو العنف والعزلة الاجتماعية في بعض الأحيان، فهذا يعتبر دور الأسرة في تحقيق نوع جيد من التوازن النفسي

والإشباع العاطفي والشعوري لأبنائها في مرحلة التنشئة الاجتماعية، من أهم الأدوار التي يمكن أن تؤديها في المجتمع، لأن هذا الدور يصعب تعويضه إذا مرت مرحلة التنشئة الاجتماعية، وتبعاته تكون وخيمة على الفرد في حد ذاته وعلى المجتمع ككل.

وفي الحقيقة أن هذه النوعية من الجودة، لا تتوقف على الجانب المادي بقدر ما تتوقف على مدى تقاهم الأبوين وانسجامهما العاطفي، وبمدى وعيهم بضرورة الدور النفسي والوجداني المنوط بهما تجاه الأبناء، فالأسر التي تفتقد للحب والعطف والحنان لا يمكن أن تقدم أفرادا كاملي الشخصية متوازني النفسية،¹ ويزداد هذا الدور أهمية أكثر بالنسبة للأسرة تجاه الأبناء، خاصة في مرحلة المراهقة وما تتطلبه من عناية خاصة نفسية وعاطفية، حيث تعد هذه المرحلة من أصعب المراحل النفسية التي يمر بها الكائن البشري أو الفرد في حياته، ففترة المراهقة تعتبر فترة محيرة للأباء والأبناء معاً، حيث غالبا ما يدخل الأبناء في صراع مع آبائهم من أجل الحصول على استقلالية أكثر، فكما يقال عنهم في هذه المرحلة، أنهم عقول أطفال في أجساد كبار، لهذا على الآباء ادراك هذا جيدا ومحاولة التثقف أكثر حول هذه المرحلة والبحث عن الطريقة السليمة في التعامل معها، وهنا بالضبط يمكن الحكم على مدى الجودة الذي تقدمه الأسرة لأبنائها في مرحلة المراهقة، التي تعتبر آخر مرحلة تقريبا من مراحل التنشئة الاجتماعية، حيث أن هذه الجودة تتوقف إلى حد كبير على مستوى وعي الأبوين بهذه المرحلة، وعلى حكمتهم في التعامل معها، أي تعويد الطفل على التعبير عن نفسه، وجعله قادرا على حل مشكلاته، وعلى اتخاذ القرار بنفسه، والقدرة على الاستقلال عن والديه أو غيرهما، سواء استقلال مادي أو نفسي، بصورة يقوم فيها الاستقلال على الشعور بالمسؤولية والواجب، والتوعية بالحقوق والواجبات.¹

3- دور الاسرة في تحقيق جودة تكوين التوازن العقلي والتفكير السليم لأفرادها:

يرتبط هذا الدور أساسا، بجودة التعليم الذي تقدمه الأسرة لأبنائها ليس فقط المرتبط بالمدرسة بل بذلك الذي يتلقاه الأبناء عن الأولاد عن طريق القدوة في طريقة التفكير السليمة، وكيفية تحليل الأمور والنظر للمشكلات، حيث يقصد بالتربية العقلية للأبناء تنمية قدراتهم العقلية عن طريق مختلف الوسائل والتكوينات، كالعاب الذكاء ودورات التنمية البشرية ومراكز تعلم اللغة.. حيث أن الطفل يتعلم من والديه أولا القواعد الأساسية للغة والتعبير ومن خلال هذه العملية تنتقل أيضا الأفكار والمعتقدات والثقافة بشكل عام¹ ولهذا نجد أن بعض الأطفال الذين يعيشون في مجتمعات غير مجتمعاتهم الأصلية، وفي ثقافات غير ثقافتهم الأصلية، أي في الأسر المغتربة، يعانون كثيرا من تشويش الفكري فما يتعلمونه في الأسرة، قد يناقض تماما ما يجدونه في المجتمع، وهذا ما قد يخلق لديهم نوع من الاضطراب في النمو العقلي والفكري، وهنا تزداد مسؤولية الآباء حيث يتضاعف الدور المنوط بهم، وتصبح عملية التكوين العقلي والفكري لأبنائهم صعبة جدا، فمثلا في المجتمعات الدينية تربط معظم الأمور الحياتية بإرادة الله وبالقضاء

والقدر حتى في تفسير بعض الظواهر الطبيعية أحيانا، بينما طريقة التفكير في المجتمعات العلمانية وضعية وشيئية بحتة، وهذا ما يسبب في بعض الأحيان خلل في التوازن العقلي لدى بعض الأطفال، فيتوه بين طريقتي التفكير، خاصة إذا زاد تعصب الأسرة، ويتجلى هذا بوضوح من خلال نوعية القصص التي يتم اختيارها ونوعية الأشخاص الذين يعتبرونهم كقدوة، فكلام الآباء للأبناء يعتبر من أهم المناهج التربوية والتعليمية الموجهة للأبناء¹ والتي تعمل بشكل مباشر على تكوين أسلوب تفكيرهم العقلي، كما أن نوعية التعليم المدرسي الذي توفره الأسرة لأبنائها، يعتبر من أهم مؤشرات الجودة في الحياة الأسرية.

4- دور الاسرة في تحقيق جودة الادمج الاجتماعي لأفرادها وتعزيز شعورهم بالانتماء للمجتمع:

يمكن الحديث عن جودة الدور الذي يمكن أن تلعبه الأسرة في إدماج أبنائها، بشكل جيد في المجتمع وتعزيز شعورهم بالانتماء، من خلال قدرة الآباء والأمهات على تزويد أبنائهم بقواعد السلوك السليم، والآداب العامة المحمودة وقوالب العرف والعادات والتقاليد الواجب اتباعها، ومستويات الخير والفضيلة المطلوبة والشر والرديلة المنبوذة، هذا بالإضافة إلى تعليم الأبناء الطقوس الصحيحة، الخاصة بالعبادات الدينية ومختلف الأمور الحياة الاجتماعية الأخرى، حيث بات من المعلوم أن الطفل تتربس في ذهنه هذه الأمور منذ الصغر، ويصعب جدا تغييرها في الكبر، فكما يقال: "من شب على شيء شاب عليه"، خاصة في الأمور المرتبطة بقيم التعامل مع الآخرين كالاحترام والحياء والتواضع والمبادرة بفعل الخير، وتجنب الاساءة للآخرين بمختلف أشكالها اللفضية والسلوكية، وكذلك من حيث اتقان طرق التواصل السليمة والناجعة، التي تمكن من سهولة الاندماج وتحقيق الحاجات الاجتماعية، فكل هذا يصعب على الأبناء اكتسابه بمفردهم، فبعبارة أخرى فان الأسرة هي المسؤول الأول عن عملية غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك، خاصة في التعامل مع الآخرين، وعن نوعيتها فإذا كانت من الأنواع الإيجابية فإن الضمير الانساني الذي يحمله الأبناء يوصف بأنه حي، أما ان كان من الأنواع السلبية، فيوصف بأنه فاسد أو ربما ميت، ويتمثل أفضل أسلوب لإقامة نسق الضمير في ذات الطفل، أن يكون الأبوين قدوة في التعامل مع الآخرين لأبنائهما، حيث ينبغي ألا يأتي أحدهما أو كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية والآداب الاجتماعية.¹

وبالإضافة الى ما سبق، يمكن كذلك الحكم على جودة الدور الذي تقوم به الأسرة تجاه الأبناء، من خلال قدرتها على تعزيز شعور أبنائها بالانتماء الى المجتمع وثقافته وهويته، خاصة اذا كانت الأسرة مغتربة في مجتمع آخر، حيث يشير مفهوم الانتماء هنا، إلى مدى قدرة الأسرة تدعيم إحساس أبنائها بالانتماء لكيانهم الاجتماعي، والتوحد معه والاندماج فيه، وشعورهم بشرف الانتساب إليه وبالأمان فيه.¹

وفي الحقيقة أن كل هذه الجوانب متكاملة ومنسجمة مع بعضها البعض، ولا يمكن أن تتحقق جودة الحياة الفعلية إلا من خلال تحقق هذه الجوانب الأربعة، ولا شك أن مسؤولية تحقيق هذه الجوانب الأربعة تتوزع بين الأسرة والمجتمع والسلطة القائمة فيه أو الدولة، إلا أننا حاولنا تسليط الضوء على المسؤولية الملقاة على الأسرة، لاسيما في مرحلة التنشئة الاجتماعية التي تتحمل مسؤوليتها بشكل كبير.

الخاتمة:

يمكن تلخيص العلاقة بين جودة الحياة الأسرية والتنشئة الاجتماعية، من خلال دور الأسرة في توفير جملة الحاجات الأساسية والكمالية التي يحتاجها الطفل في المراحل الأولى من حياته، خاصة في مرحلتي الطفولة والمراهقة، حيث أن للأسرة تأثير كبير في حياة الطفل، خاصة في السنين الأولى من عمره، فهي تمثل عالمه الكلي وتؤثر بدرجة كبيرة على تطوير شخصيته ونموه، ويبدأ هذا التأثير بالدرجة الأولى من خلال الاتصال المادي والمعنوي المباشر بين الأم وطفلها، فهي التي ترعاه وتحنو عليه وتشبع حاجاته، ثم يأتي دور الأب والإخوة بالدرجة الثانية، في التأثير على تنشئته وتطوير شخصيته الاجتماعية، فشخصية الوالدين ومستواه الثقافي ووضعهما المادي والطبقة الاجتماعية التي ينتميان إليها، وكذلك موقع الطفل بالنسبة لأخوته، كلها عوامل أساسية في جودة نوعية الحياة، التي يحضى بها الطفل خاصة في السنين الأولى من عمره، أي أثناء مرحلة التنشئة الاجتماعية، فتأثير الأسرة يصيب أبعاد حياة الطفل الجسدية والمعرفية، ويمكن تحديد عوامل الجودة فيه من خلال تأثيرها على الجوانب التالية:

- الجانب البدني والجسمي (الصحة البدنية والسلامة الجسدية)
 - الجانب النفسي والشعوري (التكوين النفسي السوي والشعور بالأمان والرضا والسعادة الداخلية)
 - الجانب العقلي (التفكير السليم والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة)
 - الجانب الاجتماعي (الشعور بالأمن والعدل داخل المجتمع والإحساس بالانتماء والتمتع بحق المشاركة الفعالة في مختلف أنشطة الحياة اليومية والاجتماعية والسياسية)
- وأخيرا، يكمن القول أن نوعية وجود الحياة الأسرية التي تقدمها الأسرة لأبنائها، من خلال مرحلة التنشئة الاجتماعية، والتي تمتد منذ مرحلة الولادة والطفولة إلى مرحلة المراهقة، تلعب دورا كبيرا في نوعية وجود الأفراد الذين تقدمهم للمجتمع، فلا شك أنه كلما تحسن وارتفع مستوى جودة الحياة الأسرية، كلما انعكس ذلك ايجابا على المجتمع، وكلما تحسنت كفاءاته وزادت فرصته في التغلب على مشكلاته، وفي خوض غمار التحديات المستقبلية الكبرى التي تواجهه في عملية التنمية والتطور.

المراجع:

- 1- اقبال بشير وآخرون، ديناميكية العلاقات الأسرية- دراسة عن الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، 1997.

- 2- خيرى خليل الجملي، الاتجاهات المعاصر في دراسة الأسرة والطفولة. المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ، 1993.
- 3- صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم، عنابة، الجزائر، سنة 2004.
- 4- عادل أحمد عز الدين الأشول، علم النفس الاجتماعي مع الإشارة إلى مساهمات علماء الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1987.
- 5- علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، جامعة دمشق للنشر والتوزيع، دمشق، 1993
- 6- علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف، القاهرة، 1981.
- 7- عمار حامد، الجامعة بين الرسالة والمؤسسة، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996.
- 8- ماجد ملحم أبو حمدان، طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية وعلاقتها بمدى مشاركة الشباب في اتخاذ القرار داخل الأسرة، دراسة ميدانية على عينة من شباب جامعة دمشق ،كلية الآداب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27-العدد الثالث+الرابع 2011.
- 9- محمد شحات وآخرون ، أصول التربية الاسلامية، دون دار نشر، جدة، ط 1، 1995.
- 10- محمود عبد الحليم منسي وآخرون، مقياس جودة الحياة لطلبة الجامعة، وقائع ندوة علم النفس وجودة الحياة، جامعة السلطان قابوس مسقط 17-19 ديسمبر 2006.
- 11- مسعودي امحمد، بحوث جودة الحياة في العالم العربي دراسة تحليلية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، ورقلة، العدد 20 سبتمبر 2014.
- 12- فادية عمر الجولاني، دراسات حول الأسرة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1995.
- 13- ناصر إبراهيم، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل للنشر، بيروت، ط2، 1996.
- 14- ورقيل نرم الأصغر، التنشئة الاجتماعية بعد الطفولة، ترجمة علي الزغل، دار الفكر للنشر، عمان، ط1، 1982.
- 15- وفيق صفوت مختار، الأسرة وأساليب تربية الطفل، دار العلم والثقافة، القاهرة، 2004.